التفاحة ...

للأستاذ راشد رستم

عادل — أحبك يا « سهام »

سهام — تحبني ! !

— نعم أحبك ... وهل في الأمر غرابة ؟ !

— لا ...

— ثم إني أحبك لأنك تحبينني

— أهذا السبب أنت تحبني ؟

— طبعاً لا ... ومع ذلك لماذا لا ؟ ...

* * *

سهام — ولكن كيف عرفت أنني أحبك ؟

عادل — هذا سر ...

— سر ... وهل بين المحبين سر ؟ !

— وأيُّ سر ... إن بين المحبين سر الأسرار ، بل ليس بين غير المحبين سر مثل سر المحبين

— سر الأسرار أم لا أسرار ! !

— إذا لم يكن بين المحبين سر ، فإنه يجب عليهما أن يخلقا لهما « سرا » سرا ...

— دعني من فلسفة الأسرار ... أريد أن أعرف السر ! !

— أي سر ؟

— السر الذي تدعي الآن أنه سرك

— كيف ... ألا تعرفينه ؟

— إذا كنت أعرفه ما كنت سألتك عنه

— وما دمت لا تعرفينه فلا داعي لذكره

— بالعكس ... يكون الحال أدعى لمعرفته

— لا أظن ذلك ، فإنه شيء يدرك ولا يشرح

— ولكن أنت قلته الآن منذ قليل

— إذن أنت تعرفينه

— وهل في هذا شك ... بل ومنك عرفته

— إذن لماذا تحاورينني هكذا ؟ !

— لكي أمتحنك

— تمتحنيني ! ولماذا تمتحنيني ؟ وفي أي شيء ؟ دعينا من هذا الكلام ... ليس هذا هو سبب المحاورة ... أفصحي ... أفصحي

— ماذا تعني ؟

— أعني أنه يهمك جداً أن تعرفي كيف ...

* * *

سهام — اسمع يا « عادل » ، أنت تحبني ما في هذا شك ، ولكن ، ألا تدري أنه يسر المرء أن يعرف كيف ولماذا أحبَّه غيره ... ثم هل في هذا عيب ؟ !

عادل — كلا ... ولكن عليه أن يبحث فيتعب فيعرف فيرتاح ... وليس عليه أن يجلس فيسأل فيجاب فيرتاح ...

— ألا تحب لي الراحة ؟

— ليس في هذا شك ... ولكن ، أليس التعب في سبيل الحب راحة ؟

— بالله لا تتعبني واختصر الطريق

— اسمعي يا «سهام» ، أنا لا أريد تعبك ولا الإطالة عليك، ولكن الذي أحب هو الذي يعرف كيف أحب

— لا ، أنت غلطان ، إن الذي أحبَّ لا يعرف كيف أحب ، ولكنه يعرف فقط أنه أحب

— إذن ، لماذا تتعبينني ؟ !

— اتق الله ، من الذي يتعب الآخر ... ومع ذلك ، فإن التعب في سبيل الحب راحة . أليس كذلك ؟ ثم إن الذي أريدك أن تفهمه هو أن المحبوب يفرح ويفرح جدا إذا عرف كيف ولماذا أحبه حبيبه

— ليس من السهل الإجابة على هذا السؤال

— ولكنك أحببتَ فجربتَ فعرفتَ

— وأنت يا سهام ، ألم تحبي قبل هذه المرة ؟

* * *

سهام — أولاً ، ما معنى هذه المرة ؟

عادل — أريد أن أقول ...

— لا تقل شيئاً ... سأريحك ... نعم ، كنتُ ظننت أنني أحببتُ قبل هذه المرة ! !

— ولكن ... ؟

— ولكن لم أحب ...

— والآن ؟

— والآن ... والآن ... وقد أوقعتني ... فماذا عساي أن أقول ! !

— أولاً ، لست أنا الذي أوقعك ، ثم لا تنسي أن من حفر بئراً لأخيه وقع فيه ! !

— وهل الحب يا عادل بِدْع ؟

— بِدْع ... وأىُّ بِدْع ! ! إنه بحرٌ ... بل هو محيط ... ! !

— أعوذ بالله ... إنه إذن مخيف ! !

— إذا كان مخيفاً ، فلما ذا أوقعت نفسك فيه ؟ !

— يا ظالماً ! حقًّا إنك مغالط كبير ... هل أنا وقعت فيه ، أم أنك أنت الذى أوقعتنى فيه ؟ !

— أنا أوقعتك ... أم أنت التى وقعت ؟ !

— أتريد أن تقول إننى أنا التى أوقعت نفسى وأنك لم تقع معى ؟

— لا ... أنا لا أريد أن أقول هذا ... ثم كونى وقعت معك أو لم أقع — هذا شىء ، وإنك وقعتِ أو لم تقعى — هذا شىء آخر ... ومع ذلك ، هل وقعت أنا معك ؟

— هذا سؤال لا يوجه إلىَّ — أنتَ الذى تجيب عليه !

— أنا لم أر أحداً أوقع غيره

— كيف ... مع أنك وقعت مع الواقع ! !

— هذا اعتراف آخر

— وهل أنت فى حاجة إلى اعترافات ؟

— لا ... ولكنك أنتِ تحبين الاعتراف

— أنا ... ! !

— نعم ... بدليل أنك تصرحين بها ...

— إنك أنتَ الذى تجعلنى أصرِّح

— الأمر على العكس ، أنا لم أطلب منك تصريحاً ، فإننى مقتنع بأنك تحبيننى ... كما أننى أحبك ... ! !

— هكذا ... هكذا ... ! !

• • •

عادل — وهل عندك شك فى هذا ... ألم أذكره فى أول حديثى فى صراحة يعجب لها الكثيرون ...

سهام — يعجب لها الكثيرون ! ولماذا ؟

— لأن أغلب الرجال لا يميلون إلى الابتداء بالاعتراف ...

— وهل تظن أنك بدأت واعترفت ! ؟

— من غير شك . وقد قلت ذلك فى أول كلمة لى معك ...

— أتحسب هذا اعترافاً ؟

— كيف لا ؟ وإلا فما هى هذه الصراحة النادرة فى مثل هذا الموقف بين رجل وسيدة ؟

— عجباً ... ما هذا التجنى على المرأة ؟ وهل محرَّم على الرجل أن يبادر ويبوح بحبه ؟

— لا . ولكن بالله لا تخرجى عن الموضوع ...

— إننى أتكلم فى صميم الموضوع ... أليس الحب هو شريعة البشر جميعاً ... الرجل والمرأة على السواء ؟

— نعم

— إذن لماذا هذه التفرقة ... ألا تعلم أن المرأة والرجل يكمل بعضهما بعضاً ؟

— هذا صحيح ، ولم ينكره أحد ، ولكن ما هى نسبة تكملة الواحد منهما للآخر ؟

— سؤال غريب ... إن الاثنين يتمان وحدة ؛ وأما نسبة الواحد إلى الآخر فى تكميل الوحدة فهى مسألة ثانوية ...

— هذا القول يذكرنى بأسطورة التفاحة ...

— أسطورة التفاحة ؟ !

• • •

عادل — نعم . يولد ابن آدم فتقطع له تفاحة ، يعطى نصيبه منها ، والنصيب الآخر يعطى لمن ستكون شريكته فى الحياة ، وعند ما يتلاقيان ينطبق النصيبان ويلتصق الجنبان

سهام — ولكن هيهات أن يجد المرء الجزء الآخر من التفاحة نفسها بسهوله ...

— إذا كتب له أن يجدها فإنه واجدها ولو كانت هى العشرة ... ولو كانت كذلك فى الطرف الآخر من العالم ...

— أهذا الحد تهزأ بالجزء الآخر من التفاحة ؟

— يعلم الله ما أنا بهازئ ، ولكنى أقرر الحقائق وأنا آسف

— إذن على هذا الأساس يجب أن يفسح للحب المجال ، فإنه هو عنصر التعارف والتقارب وهو عامل الانطباق والتوفيق

— هذا صحيح ، ولذلك لست أرى حرجاً على الرجل فى أن يبدأ فيبوح بحبه ، فقط يبوح لمن ؟

— لمن ؟ وهل فى هذا خلاف ؟ طبعاً يبوح به إلى من أحب

— إذن لماذا تنكرين على ما صرَّحتُ به لك فى أول الحديث ؟

— وهل تظن أن هذا اعتراف منك ؟

— ! ! ... وإلا فما هو ؟

— فى الواقع لا أرى فيه إلا أنه خطة منك لتأخذ منى أنا الاعتراف ...

— وهل تظنين يا سهام أنك اعترفت لى بشىء ؟

— أتريد منى بهذه الطريقة اعترافاً آخر ؟ ألم يكفك سرورك باعتراف السابق ، أو بتعبير أصح برقمتى التى وقعت فيها ! ...